العالِم الجاني

لما نشبت الحرب الاهلية في اميركا منذ خمسين سنة كان في الجيش الاميركي طبيب اسمهُ مينور أُصيب بدخل في عقلهِ من جرّاء ما شاهد من ويلات الحرب فجاء بلاد الانكليز واقام في مدينة لندن وقد قام في ذهنهِ ان الارلنديين يقصدون قتلهُ . ونهض ذات ليلة وجعل يمشي على رصيف نهر التايمز واتفق ان رجلاً كان يمشي وراءهُ فخيل لهُ انهُ يقتفي خطواتهِ قاصداً قتلهُ فاخرج مسدّساً من جيبهِ ودار اليهِ ورماهُ بالرصاص فقتلهُ وقُبض عليهِ وحوكم فاعترف بجريمتهِ ولكن ثبت للقضاة انهُ مختل الشعور فحكموا بسجنهِ في سجن المجانين المجرمين

ولما توفي السر جمس مري منذ بضعة اشهر وهو مؤلف اوسع قاموس في اللغة الانكليزية كتب بعضهم في مجلة ستراند ان الدكتور مينور هذا كان اكبر مساعد لهُ في تأليف ذلك القاموس وقد ساعدهُ فيهِ وهو في سجن المجانين المجرمين . فاهتمّ الناس بامرهِ اهتماماً كبيراً وكان قد أُخرج من السجن سنة ١٩١٠ بعد ان اقام فيهِ ٣٨ سنة فقصدهُ واحد من قبل مجلة الستراند وحادثهُ في سبب سجنهِ وكيف ساعد السر جمس مري في تأليف قاموسهِ . فقال « ان الذي قتلتهُ كان يقصد قتلي ولو اردت ان اتصل من عملي لسهل عليّ ذلك بان اطرح المدّس في النهر واسير في طريقي وانكر اني انا القاتل ولم يكن هناك احد ليشهد عليّ . اما الدكتور مري (قبل ان أعطي لقب سر) فكان ينشر منشورات صغيرة يطلب فيها من قارئيها ان يرشدوهُ الى معاني بعض الكلمات ويذكروا لهُ الشواهد على استعمالها بتلك المعاني . وأول ورقة وقعت في يدي من هذا القبيل كانت عن الكلمات التي صار لها معانٍ جديدة في الولايات المتحدة الاميركية والظاهر انهُ مُرَّ بالاجوبة التي بعثت بها اليهِ ومن ثمَّ توالت مسائلهُ عليّ وكنت اجد لذة في الاجابة عنها »

ويقال انهُ بعث الى الدكتور مري بنحو ثمانية آلاف شاهد من الشواهد التي اعتمد عليها وذكرها في قاموسهِ . ولما قيل للدكتور مينور انك لم تنل الجزاء الذي يستحقهُ عملك هذا اجاب اني لا انتظر جزائي من العبد بل من المعبود . ثم قال ان الاجزاء التي كانت تطبع من القاموس كانت ترسل اليّ تباعاً فكنت اسر برؤيتي نتيجة عملي وهذا حسبي

وكتب المستر جون فشر صاحب البيت الذي كان الدكتور مينور فيهِ لما ارتكب الجريمة يقول « انهُ كان من الادباء الظرفاء . ولما جاءنا قال انهُ اتى انكلترا لاجل النزهة وانهُ يكره

النزول في الفنادق الكبيرة والعمل بقوانينها وقد يضطر احياناً ان يغيب اياماً متوالية وهو يودُّ أن تضع مصباحاً منيراً في غرفته كل ليلة ولو لم ينم فيها لانهُ قد يأتيها متأخراً وهو يكره ان يدخل غرفة مظلمة . وذات ليلة دخلت غرفتهُ لاقفل كواها والنير مصباحها ولم اكن اعلم انهُ فيها فنهض من سريرهِ بغتةً وانتصب امامي واتفق انني تمكنت من انارة المصباح في تلك اللحظة وذكرت لهُ اسمي فهدأ روعهُ ولولا ذلك لكنت انا القتيل . ثم اجتمعت بهِ عصر اليوم التالي فوجدتهُ انيس المحضر واسع الروية جدًّا . وكان ذلك وقتما تمَّ الفوز لالمانيا على فرنسا سنة ١٨٧١ واستلم تيرس رئاسة الجمهورية الفرنسوية فكلمني في سياسة اوربا كأنهُ ابن بجدتها . وقبلما ارتكب الجناية غاب عنا يوماً او يومين ثم عاد نحو الساعة التاسعة ليلاً وقال انهُ لا يريد طعاماً بل هو ذاهب لينام . ونحو نصف الليل سمعتُ جرس الباب يقرع بشدة فنهضت واذا احد رجال البوليس يسأل عنهُ فقلت لهُ انهُ نائم في غرفتهِ فقال كلاَّ بل هو الآن في دار البوليس ويدَّعي ان اسمهُ الدكتور مينور وقد قتل قتيلاً ويجب أن تذهب معي الى دار البوليس ونتحقق مَن هو فذهبت معهُ واذا انا بالدكتور مينور نفسهِ فطلب مني ان ارسل اليهِ بعض امتعتهِ فارسلتها وجاء رجال البوليس في اليوم التالي وفتشوا امتعتهُ فوجدوا فيها نحو ثلثماية جنيه »

وكتب واحد من رجال ذلك السجن (وكان قد رأى الدكتور مينور كل يوم مدة ثلاث عشرة سنة) انهُ كان من ذوي اليسار الذين يسمح لهم ان يقيموا في قسم مخصوص ويعطى كل منهم غرفة خاصة يقيم بها اما هو فأُعطي غرفتين واحدةً ينام فيها وواحدة يقيم فيها في النهار ويتناول فيها طعامهُ وهو السجين الوحيد الذي سُمح لهُ بغرفتين في زماني . والغرفة التي كان يقيم فيها في النهار هي التي كان يكتب فيها ما كتبهُ للسر جس مري وكان يصوِّر فيها بالالوان المائية وكانت جدرانها مغطاة بخزائن الكتب وادوات التصوير لانهُ كان مغرماً بتصوير المناظر الطبيعية وبمساعدة الغواة بالتصوير من السجناء ويجمع الكتب من الطبعة الاولى وبمطالعة المجلات الادبية

وكان في ذلك القسم من السجن مكتبة كتبها منتقاة وهو القسم الوحيد الذي فيهِ مكتبة فكان كثير التردد اليها واستعارة الكتب منها . والغالب انهُ كان يستعير الكتاب وقلما يأخذهُ الى غرفتهِ بل يتصفح القليل منهُ ثم يردهُ الى مكانهِ ويعود الى غرفتهِ مسرعاً

وذات يوم كان جالساً في الرواق الذي يقيم فيهِ السجناء لاستنشاق الهواء وكنت اتذاكر مع واحد منهم في موضوع مقالة للاستاذ ولتر ربلي قابل فيها بين رواية دكنس المسماة اوراق

يكوك و بين رواية لآخر اسمها واقد هروم وكنا كلانا نجهل هذه الرواية الثانية ونجهل اسم مؤلفها . وسمعنا الدكتور مينور تتكلم فقال ان واقد هروم رواية امريكية وقد كان لها شأن كبير في الولايات المتحدة وعندي هنا نسخة منها . ثم اتانا بها . ولما خرج من السجن قال لي اني تركت رواية واقد هروم هنا ليقرأها من يشاء

وبقي وهو في السجن يعتقد ان الارلنديين والايالسة يضمرون لهُ الشر و يحاولون قتلهُ ومع ذلك لم يكن يظهر الكراهة للارلنديين المسجونين معهُ . وطلب ان تفرش ارض الغرفة التي ينام فيها بالزنك على نفقتهِ لكي لا تصعد الشياطين اليهِ من الغرفة التي تحتها . وكان يضع اناء من الماء في كل غرفة من غرفتيهِ زاعماً ان الشيطان لا يستطيع ان يدخل غرفةً فيها ماء

وكانت اوهامهُ تتسلط عليهِ في الليل . كان السجناء مأمورين ان يكونوا في فرشهم الساعة السابعة ونصف مساء وقبل الساعة الثامنة ببضع دقائق كان مدير السجن يمرُّ على الغرف كلها ليرى كل سجين في فراشهِ وكان الدكتور مينور يقول و يؤكد انهُ لا يكاد المدير يمر بغرفتهِ حتى يدخلها بعض الاشرار بامر رجال الحكومة ويخرجوهُ منها و يأخذوهُ غصباً عنهُ و يطوفوا بهِ البلاد و يدخلوهُ منازل الفجور و يضطروهُ الى ارتكاب الموبقات ثم يعودوا بهِ الى غرفتهِ . ولما صُنعت الطيارات (الاروبلانات) صاروا يحملونهُ بها و يطيرون بهِ الى الاستانة وغيرها من المدن الشرقية و يضطرونهُ الى دخول اماكن الفجور . حتى اذا نهض في الصباح نهض خائر القوى نادماً على ما فعل مشمئزاً منهُ

وعادهُ مرةً طبيب السجن وجعل يجادلهُ في امر فقال لهُ الدكتور مينور ان قصتي معك مثل قصة الثعلب والاسد فقد زعموا ان الاسد اخذ على نفسهِ العهود والمواثيق ان لا يؤذي احداً من الحيوانات الاَّ ذوات القرون . وذات يوم رأى بعضهم الثعلب خارجاً من مغارة الاسد مذعوراً لا يلوي على شيء فقالوا لهُ على مَ انت خائف فقال ألا ترون ثوراً في قمة رأسي فقالوا ولكن هذا ليس قرناً فقال نعم ولكن ان قال الاسد انهُ قرن فمن يجادلهُ وهذا شأني معك ايها الطبيب . انتهى

والجنون فنون ونوادر المجانين كثيرة اكثر من ان تحصى ولكن لم يقع لنا قط ان سمعنا عن مجنون ساعد في تأليف قاموس وكان لهُ شأن كبير في تأليفهِ . غير ان الجنون الجزئي الذي من هذا القبيل قلما يخلو منهُ اصحاب القرائح ولولا انهُ كان في هذا الرجل دافعاً لهُ لقتل من توهم انهُ يقصد قتلهُ لعاش ومات مثل سائر الناس